

دور المُحَسِّناتِ المَعنويّة في نَظم الكلام وبيانه — سورة إبراهيم نموذجاً

KELAMIN NAZMA DÖKÜLMESİ VE ACIKLANMASINDA MUHASSİNÂT-I MA'NEVİYYE SANATLARIN ROLÜ: İBRAHİM SURESİ ÖRNEĞİ

THE ROLE OF AL-MUHASSINAT AL-MA'NAWIYYA IN THE VERSIFICATION AND ELUCIDATION OF THE STATEMENT: IN THE EXAMPLE OF THE OUR ANIC CHAPTER OF IBRAHIM

SALİH DERŞEVİ DR. ÖĞR. ÜYESİ KARABÜK ÜNİVERSİTESİ İSLAMİ İLİMLER FAKÜLTESİ salihdersevi@karabuk.edu.tr



Dilhilimciler, " Bedî'"vi, " Meânî" ve "Bevân" hilimlerinin kurallarına yuvılduktan sonra sözün süslenmesiyle ilailenen bir bilim olarak tanımlamıslardır. Bu durum, hazı araştırmacıların hediî hiliminde yer alan sanatların ve üşlunların, sözün sadece süslenmesi icin kullanılan ve düzeni ve anlamıula ilaisi olmayan ziynetler olduğu seklinde bir izlenim edinmesine neden olmustur. Arastırmacı, bu konuuu araştırmaya ve özellikle de ilahi beyanın çok sayıda bediî sanat içerdiği göz önüne alındığında, bu fikrin ne kadar doğru olduğunu araştırmaya karar vermiştir. Bu sanatların etkisi sadece yüzeysel güzellikle mi sınırlıdır, yoksa sözün özüne ve inşasına mı katkıda bulunurlar? Kur'an-ı Kerim bu sanatları Kuran'ın anlamını ve sırlarını ortaya çıkarmak için nasıl kullanmıştır? Bu iki soruyu cevaplamak için araştırmacı İbrahim Suresi'ni çalışma konusu olarak seçmiştir. Surede geçen " Muhassinât-I Ma'neviyye " olarak adlandırılan bediî sanat türlerini belirlemiş, örnekler seçmiş ve ardından ilahi beyanın bu sanatları nasıl kullandığını, sözün nazmında oynadığı rolü ve Kuran'ın anlamını ve sırlarını ifade etmede oynadığı rolü arastırmıştır. Buna ek olarak, bu sanatların sureue kattığı estetik özelliklere de dikkat çekmiştir. Araştırmacı, surede yer alan bediî sanatların son derece mükemmel ve yapmacıklıktan uzak bir şekilde doğal olduğunu keşfetmiştir. Anlamın aktarılmasında ve muhataba uygun ve hoş bir şekilde ortaya çıkarılmasında " Meânî " ve " Beyân " bilimlerinin sanatlarıyla birlikte rol oynadıkları görülmüştür. Bu sanatların amacı sadece sözü süslemek veya güzelleştirmek değil, anlamı güzel bir şekilde inşa etmektir. Ayrıca, özetleme, anlamın kapsamlı bir şekilde ele alınması ve anlamın güçlendirilmesi gibi çeşitli amaçlar için de kullanıldıkları görülmüştür. Bu sanatların sözün tutarlılığında ve parçalarının birbirine bağlanmasında da rol oynadığı ortaya çıkmıştır.

Anahtar kelimeler: Arap Dili ve Belagati, Belagat, Bedî, Muhassinât-I Ma'neviyye, İbrahim Suresi.

Abstract:

Rhetoricians divided the rules of rhetoric into two categories: they called the first one "Ma'ani", and the second one "Bayan". Then, another tupe of style appeared that was different from the previous ones, which they called "Badi". They defined it as the science that deals with the decoration of speech after observing the rules of Ma'ani and Bayan. This gave some researchers the impression that the arts and styles mentioned in Badi' are just ornaments that are used to dress up speech and have nothing to do with its organization or meaning. The researcher wanted to investigate this issue and find out how accurate it is, especially since the Quran included a large number of these Badi' figures of speech. Are their effects limited to superficial beauty, or do they have a role in the essence and structure of speech? How did the Quran employ these arts to convey the Quranic meaning and reveal its secrets? The researcher chose Surat Ibrahim as the subject of his study. He traced the types of Badi' called "moral figures of speech" that are mentioned in it, and then chose examples to search for the way the Quran uses them, their role in organizing speech. and their effect on expressing the Quranic meaning and its secrets, as well as the aesthetic features they add to it. The researcher found that the Badi' figures of speech mentioned in the surah were characterized by great perfection and spontaneity far from artificiality. He also found that they shared with the arts of Ma'ani and Bayan in conveying the meaning and clarifying it in a way that suits the audience and appeals to them. Their purpose was not merely to beautify speech, but to build the meanina in a heautiful wau.

Keywords: The Arabic Language, Rhetoric, Badi', Meaning, Al Muhassinat al-Ma'nawiyah.

سعى المتأخرون من علماء البلاغة إلى تصنيف القواعد البلاغية فجعلوها في مين: أطلقوا على الأول المعاني، وعلى الثاني البيان، ثم ظهر لهم صنف آخر من الأساليب مختلف عما سبق سموه (البديع)، وعرفوه بالعلم الذي يعتني بتزيين الكلام بعد مراعاة قواعد علمي المعاني والبيان. الأمر الذي شكل عند بعض الباحثين انطباعًا بأن ما ورد في علم البديع من فنون وأساليب تسمى بالحسنات إنما هي أصباغ وزينة يُكسى بها الكلام ولا شأن لها بنظمه ومعناه، فأراد الباحث أن يحقق في هذه المسألة ويبحث عن مدى صوابًا ولا سيما أن البيان الإلهي قد اشتمل على عدد كبير من هذه الحسنات البديعية. ولا تخفى أهمية البحث في هذه القضية والتحقيق فيها، ذلك أن عبارات علماء البلاغة بحق هذا الحسنات قد شكلت عند البعض قناعة بأن وجودها في الكلام كعدمها طالما أن أثرها ينحصر في التزيين والتحبير لا غير. فهل حقاً انحصر أثرها في الجمال العرضي أم كان لها دخل في جوهر الكلام وبنائه؟ كيف وظف البيان الإلهي هذه الفنون في تجلية المعني القرآبي وبيان أسراره؟ للإجابة عن هذين السؤالين اتخذ الباحث من سورة إبراهيم موضوعاً لدراسته، تعقب ما ورد فيها من ألوان البديع المسماة بالمحسنات المعنوية فأختار نماذج وأمثلة، ثم راح يبحث عن طريقة تعاطى البيان الإلهي معها، وكيفية استخدامها، ودورها في نظم الكلام، وأثرها في التعبير عن المعنى القرآني وأسراره، فضلاً عن السمات الجمالية التي أضفتها عليه. وظهر للباحث أن المحسنات البديعة التي وردت في السورة قد اتسمت بالإتقان البالغ منتهاه، والعفوية البعيدة عن التكلف والتصنع، وأنها اشتركت مع فنون علمي المعاني والبيان في أداء المعني وتجليته بالصورة التي تناسب المخاطب وتروق له، فلم يكن الغرض منها مجرد زخرفة الكلام أو تحسينه، وإنما بناء المعنى في صورة جميلة. كما ظهر له تنوع في الأغراض التي أدهًا؛ كالإيجاز، والإحاطة بالمعنى على سبيل الشمول، وتقوية المعنى،

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، البلاغة، البديع، سورة إبراهيم، المعنى، النظم.

إضافة دورها في تماسك الكلام وترابط أجزائه.

MAKALE TÜRÜ	GELİŞ TARİHİ	KABUL TARİHİ	YAYIN TARİHİ	ORCID NUMARASI
ARTICLE TYPE	RECEIVED	ACCEPTED	PUBLISHED	ORCID NUMBER
Araştırma Makalesi/Research Article	e 31.07.2024	18.10.2024	31.12.2024	0000-0002-1774-2460
İNTİHAL/PLAGIARISI	M	DOI NUMARASI/DOI NUMBER		

Bu makale intihal tarama programıyla taranmıştır. This article has been scanned via a plagiarism sofware https://doi.org/10.62188/ilahiyat.1525424

ATIF/CITE AS

Derşevi, Salih. "Kelamın Nazma Dökülmesi ve Açıklanmasında Muhassinât-ı Ma'neviyye Sanatların Rolü: İbrahim Suresi Örneği / The Role of al-Muhassinat al-Ma'nawiyya in the Versification And Elucidation of the Statement; in the Example of the Qur'anic Chapter of Ibrahım". ilahiyat 13 (Aralık/December 2024): 91-110.

13/2024

مدخل

وقع علماء البيان أثناء تصنيفهم لعلوم البلاغة على منثورات جمالية متفرقة لا تندرج تحت علم المعاني ولا علم البيان، تضفى على الكلام حسناً وتكسوه جمالاً وروعة شأنها في ذلك شأن ما تتزين به النساء من قرط وخلخال وسوار وأصباغ وألون وغيرها، فجمعوها تحت مسمى واحد أطلقوا عليه (البديع). وأحس أهل البلاغة أن المحسنات والجماليات هنا عرضية بخلاف التي في علمي المعاني والبيان فهي ذاتية، ما يعني أن تأتي في الأهمية بعد علمي المعاني والبيان، الأول يعني بإيراد الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، والثاني يورده بطرق متعدده ويصوغه في صور متنوعة تزيد المعنى وضوحاً وبياناً، وتأتى المحسنات البديعية لتكلله بما يمتع قلب السامع ويلقى في نفسه البهجة، نظير ما تفعله الزينة بالناظر إليها.

وقد اشترطوا لهذه الزينة كي تؤدي دورها في تحسين الكلام أن تتقيد بشروط أهمها: الإتقان البالغ، والطبعية، والتلقائية، وإخفاء قصد التجميل والتزيين بها حتى تبدو عفوية بعيدة عن التكلف وتلقائية لا يشوبها التصنّع.

ورغم ما تضمنه هذا التوصيف للمحسنات البديعية من إطراء ومدح، وثناء على دورها في تحبير الكلام وتزيينه فإنه لا يعطيها حقها، بل يحيف عليها حين يخرجها من مقومات البلاغة والفصاحة، ويحصر أثرها في الجمال العرضي الذي لا يدخل في جوهر الكلام ولا يسهم في تشكيل بنيانه كما هو الشأن في علمي المعاني والبيان. ولما كان القرآن الكريم كلاماً عربياً يوظف الأساليب العربية في أداء المعنى الإلهي الموحى به للبشر، كان من الطبيعي أن يشتمل على كثير من هذه الحسنات في بيانه الذي تربع على عرش البلاغة العربية، متفوقاً على سائر كلام البشر، فهل انحصر دور ما ورد فيه من محسنات بديعية على التحسين والتزيين فكان أثرها ثانوياً لا يتجاوز أثر الأصباغ، تطلى بها الأشياء بعد اكتمال بنائها وأركاها لتضفى عليها أبهة وجمالاً؟ أم أنها تعاونت مع قواعد علمي المعاني والبديع في التعبير عن المعنى القرآني فكان دورها في بناء المعنى جوهرياً؟ هل كان للمعنى القرآني أن يكتمل ويبدو على ما هو عليه من البيان والعلو والشرف دون ورود هذه المحسنات؟

يجيب الباحث عن هذه الأسئلة من خلال دراسة تطبيقية يجريها على سورة إبراهيم، من خلال تتبع بعض المواضع التي اشتملت فيها السورة على محسنات بديعية معنوية، ثم النظر في الدور الذي لعبته في بناء المعني وتجليته متبعاً المنهج الوصفي التحليلي، ومستفيداً ثما ذكره المفسرون والبلاغيون.

١. معنى البديع

البديع لغة: لفظ يطلق على إحداث الشيء واختراعه، وكذا على الشيء الجديد أو الناشئ، يقول الزمخشري: "أبدع الشيء وابتدعه: اخترعه.. وسقاء بديع: جديد"(١). وجاء في لسان العرب: بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه:

VQNNSV

^(۱) محمود بن عمرو الزمخشر*ي، أساس البلاغة* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ١/٠٥



أنشأه وبدأه.. والبديع الشيء الذي يكون أولاً "(٢) ومنه (البديع) الوارد في الذكر الحكيم: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(٣) أي منشئهما على غير مثال سابق، فالمعنى اللغوي للكلمة يدور حول إيجاد الشيء واختراعه على غير مثال.

وأما اصطلاحاً فقد عرفه الخطيب القزويني بأنه: "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"(¹⁾، فهو العلم الذي تعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بحاءً ورونقاً، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى^(٥).

وبمقارنة المعنى اللغوي للكلمة بما اصطلح عليه لا نجد بينهما تناسباً أو قرابة إلا ربما من حيث معنى الولادة والظهور، لأن هذا اللفظ أطلق على لون من البلاغة وتفنن في القول وتزيين له ظهر في أشعار الشعراء المولدين من أمثال مسلم بن الوليد، وبشار وأبي تمام، استحدثوه واعتنوا بإبرازه في أشعارهم فكان بدعاً من القول وفناً جديداً مبتكراً.

ولمعرفة موقع هذا العلم من خريطة فنون البلاغة والوقوف على نسبته إلى علمي المعاني والبيان حسب ما تفيده كتب البلاغة، نعود فنقول: إن علمي المعاني والبيان يبحثان في صميم المعنى المراد، فعلم المعاني يدرس تكييف المعنى ليكون مطابقاً لمقتضى حال المخاطب والموقف الذي يجري له الكلام، بحيث يظفر المعنى بأقصى درجات الموافقة والمطابقة لذلك، ويسعى علم البيان إلى تقديم ذلك المعنى للمتلقي بصور مختلفة ومتفاوتة من حيث وضوح الدلالة، وأما علم البديع — حسب النظرة التقليدية — فيوجه عنايته إلى اللفظ أو المعنى من حيث تزيينه وتجميله وبحرجته على نحو يهيج الحس الجمالي عند الإنسان فيثير به النفس المرهفة لتبتهج والعقل لينتعش من خلال إبراز جماليات الأداء أو الصياغة، ووجوه تحسين الكلام.

١. أنواع المحسنات البديعية

درج علماء البلاغة على تقسيم المحسنات التي يزين بها الكلام على نوعين(١):

- المحسنات المعنوية: وهي التي يكون التجميل فيها عائداً إلى المعنى أولاً ذاتاً، ويتبعه تحسين اللفظ ثانياً عرضاً.

⁽۲) محمد بن مكرم بن على ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، مادة (بدع)

⁽٣) سورة البقرة: الآية ١١٧

⁽ف) الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، ٢٨٢/٤

^(°) ينظر: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع* (بيروت: المكتبة العصرية)، ٣٩٨

^{(&}lt;sup>٦)</sup> ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المغربي، ومواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح، والتفتازاني، مختصر المعاني (ضمن شروح التلخيص)، ٢٨٥/٤

W W



المحسنات اللفظية: وهي التي يكون وجه الحسن والجمال راجعاً فيها إلى اللفظ أولاً بالذات، ويتبعه تحسين المعنى ثانياً عرضاً.

يتفاوت عدد المحسنات البديعية عند المهتمين بتتبعها فثمة من اقتصر على سبعة عشر محسناً وهناك من تجاوز بما المئة، ولما كان تناول جميعها بنوعيها يفوق ما تستوعبه دراسة مختصرة كهذه، اقتصر الباحث على المعنوية منها فقط.

المحسنات المعنوية

فيما يلى عرض لأهم المحسنات المعنوية التي وردت في سورة إبراهيم موضوع الدراسة، نبدأه بالتعريف بالمحسن ثم نورد شاهدا أو شواهد من السورة من أجل بيان دوره في جلاء المعنى وسلامة النظم والتركيب.

1. 2. الطباق

ويطلق على هذا اللون من البديع أسماء أخرى هي التطبيق، والمطابقة، والتضاد.

وهو مأخوذ لغة من قولهم: طابق البعير، إذا وضع رجله موضع يده، قال الخليل بن أحمد: طابقت بين الشيئين، إذا جمعت بينهما على حد واحد(٧). ومنه استلهم معناه الاصطلاحي وهو: "الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة"(^)، لأن في وضع اليد محل الرجل جمع بين مختلفين متقابلين في موطئ واحدكما هو الشأن في الجمع بين الشيء وضده.

والجمع بين المعنيين المتضادين قد يكون على سبيل الحقيقة أو المجاز، وشرط التطابق التقابل بين المعنيين فقط، ولا يضر اختلاف نوع اللفظين الحاملين للمعنى كأن يكون أحدهما فعلاً والآخر اسماً (٩).

1. 2. 1 . طباق الايجاب (١٠)

وهو الجمع بين لفظين تضاد معنياهما وكل منها مثبت، أي إن الكلمات تكون متضادة من حيث الوضع اللغوي لا بسبب الإيجاب والسلب. وهو يكون بين الاسمية والفعلية والحرفية(١١). ومن أمثلته في السورة الكريمة ما يلى:

^(V) أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية* (بيروت: مؤسسة الرسالة)، £4. .

^(^) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ضمن شروح التلخيص): ٢٨٦/٤، وينظر: مجدي وهبة المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م)، ١٣٠

⁽٩) ينظر: عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية (دمشق: دار القلم، ١٩٩٦م)، ٣٨٠/٢

⁽١٠) ينظر: عبد العظيم بن الواحد بن أبي الأصبع، *تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن* (الجمهورية العربية المتحدة: لجنة إحياء التراث الإسلامي)، ١١٢

⁽۱۱) ينظر: مصطفى السيد جبر، دراسات في علم البديع (دريم للطباعة: ۲۰۰۷م)، ۲۰



قوله تعالى: (فَيُضِلُ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُو الْغَزِيزُ الْحُكِيمُ)(١٢) الطباق واقع بين لفظي (يضل) و(يهدي) فهما متضادان في المعنى، وقد جاء المعنيان بصيغة الفعل المثبت، قال الزمخشري: "فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله: فمنكم كافر ومنكم مؤمن، لأن الله لا يضل إلا من يعلم أنه لن يؤمن (١٣) أي إن الله تعالى يضل من علم منه اختيار الضلالة، أو أن فعل المشيئة عائد على الإنسان فيكون المعنى أن الله يضل من يشاء الضلالة ويختارها من الناس (١٤). ويبدو أثر الطباق في المعنى بما يصوره هذان المعنيان المتضادان من التفاوت في المحظوة بين من شملته عناية الباري وألطافه فنال الهداية وأفلح، ومن سار في طريق الكفر وعكف على الموبقات فخلق الله تعالى فيه الضلال لوجود أسبابه المؤدية. وتقديم الإضلال على الهداية إما لأن الإضلال بقاء على ما كان والهداية إنشاء ما لم يكن، أو للمبالغة في نفي تأثير تذكير الرسل وتبيينهم بالتأكيد على أن الأمر رهن مشيئة الله تعالى، وذلك بإيهام أن ترتب الضلالة على التذكير والنبيين أسرع من ترتب الاهتداء (١٥).

وكذلك الطباق بين فعلي (نخفي) و(نعلن) في قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)(١٦) فإن بينهما تضاداً في المعنى إذ الإخفاء هو عكس الإعلان، وهو من طباق الإيجاب كون الفعل (نخفي) هو ضد للفعل (نعلن) في الوضع اللغوي لا باعتبار النفي والإثبات.

والعبارة حكاية عن قول سيدنا إبراهيم عليه السلام مناجياً ربه أن يلطف بذريته التي تركها خلفه في الواد غير ذي الزرع، والمراد به (ما نخفي وما نعلن) ما نكتمه وما نظهره، لأن الظاهر والمضمر بالنسبة إلى علم الله تعالى سيان لا تفاوت فيهما. وقد تعددت الأقوال في مراد الخليل من ذلك فقيل (١٧): إنه قصد بالإخفاء حبه لإسماعيل وأمه، وبالإعلان ما يظهره لسارة من الجفاء لهما، وقيل: ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفراق، وما نعلن من البكاء والدعاء، وقيل: ما نخفي من الخوب عند الوداع نكلكم إلى الله. وفائدة التعبير على المناه على الفراق، وما نعلن من قولنا لهاجر عند الوداع نكلكم إلى الله. وفائدة التعبير بحدا المحسن البديعي مع تقديم الإخفاء هي الدلالة على أغما مستويان في علم الله عز وجل، فليس الظاهر بأقرب إليه من الباطن، بل ربما الغرض إفادة أسبقية تعلق علم الله تعالى بالسر على تعلقه بالعلن (١٨)، وبيان ذلك أن مرتبة

⁽١٢) سورة إبراهيم: الآية ٤

⁽۱۳) الزمخشري، الكشاف، ۲/۲ه

^(۱) ينظر: دروزة محمد عزت، التفسير الحديث (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ)، ٤٦٢

⁽۱°) ينظر: أبو السعود العمادي محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٣٢/٥)

⁽١٦) سورة إبراهيم: الآية ٣٨

⁽۱۷) ينظر: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم (لبنان: دار الكتب العلمية)، ٢٤٦/٢، علي بن محمد بن عمر الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ٤٣/٣، نظام الدين الحسن بن محمد بن النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ)، ٢٠٠/٤

⁽۱۸) ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (بيروت: دار الكتب العلمية، ٥٠٤ هـ)، ٢٢٧/٧

AHIYAT 12/26 السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن وسابقة عليها في الوجود، فما من أمر يعلنه الإنسان إلا ويمر بمرحلة السر قبل الإعلان، فإحاطة علم الله تعالى بحالته في الخفاء أقدم من تعلقه بحالته الثانية. هذا بالإضافة إلى غرض الشمول والعموم الذي حققه الطباق هنا إذ جعل علم الله تعالى شاملاً لكل شيء في الوجود لكونه متعلقاً بالمخفي والمعلن، بالظاهر والباطن، والموجودات لا تخرج عن أحد هذين الوصفين.

ومن أمثلة الطباق الموجب كذلك في السورة ما ورد في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا)(١٩) فإن هناك مقابلة خفية بين لفظي (لنخرجنكم) و(لتعودن) أو ما يعرف في اصطلاح أهل البلاغة بالطباق الخفي وهو "أن تكون الضدية في الصورة متوهمة، أي خفية لتعلق أحد الركنين بما يقابل الآخر تعلق السببية أو اللزوم"(٢٠) فالإخراج وإن كان عكسه الإدخال لفظاً فإنه يقابل العودة هنا لكون العودة سبباً للدخول في معتقد القوم، فهم قد خيروا الرسل وأتباعهم من المؤمنين بين الخروج من ديارهم، واعتناق معتقداتهم الباطلة، فاستخدموا لفظ (العودة) للتعبير عما يستلزمه من الدخول في دينهم، فيكون المعنى مقابلاً للوعيد المهدد به وهو (الإخراج)، وفي ذلك إخطار لهم بأن لا معبود في هذه الأرض سوى أصنامهم، وأن العودة – والمراد بما البقاء – تعني الرجوع عن دينهم الحق إلى ماكان يعبد هؤلاء القوم، فلا معتقد يعتنق إلا دينهم الباطل، وهم بالخيار إما الخروج من الديار أو الدخول معهم في عبادة الأصنام. فكان لفظ العودة مقابلاً للإخراج من حيث هو سبب للإدخال.

ومما جاء فيه الطباق خفياً أيضاً قوله تعالى: (وَبَرَزُوا لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الصَّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَمَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ عَيْصٍ) (٢١) فإن هناك تقابلاً وتضاداً في المعنى بين (الضعفاء) و (الذين استكبروا) وإن كان عكس لفظ الضعفاء هو الأقوياء، فإن الاستكبار ناجم عن القوة ومسبَّب عنه، فلولا صولة هؤلاء الزعماء وسلطانهم لما رأيتهم يتكبرون في الأرض ولما خضع لهم أشياعهم وأتباعهم، وبذلك يكون بين المعنين طباق وتضاد. ولا يخفى الدور الذي لعبه الطباق هنا فهو لم يستخدم تحبيراً للكلام وتجميلاً له بقدر ما استدعاه المعنى لتجليته وإظهاره بعبارة موجزة أغنت عن ذكر كل ما كان عليه أولئك الرؤساء من القوة والسلطة والجبروت، من خلال ما أوحى به لفظ (الضعفاء) من قوة المقابل وتسلطه. وكذلك ما كان عليه أتباعهم من المهانة والذل والخنوع، وهو المعنى الذي أشار إليه الطباق قوة المقابل له (الذين استكبروا). فهل من أسلوب آخر يمكنه التعبير عن هذا كل هذا المعنى بذاك الإيجاز والوضوح.

⁽١٩) سورة إبراهيم: الآية ١٣

⁽۲۰) عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩م)، ٣١، وينظر: علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، أنوار الربيع في أنواع البديع، ٩١، علان، البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، ٢٢٦ (١١) سورة إبراهيم: الآية ٢١



وقد تضمنت الآية كذلك طباقاً موجباً بين فعلي (صبرنا) و (جزعنا) فالصبر ضد للجزع الذي يعني ما يصيب الإنسان من الاضطراب والقلق وضيق الصدر وعدم الاحتمال والصبر، وجاءت الهمزة مع أم للتأكيد على التسوية بين المتطابقين من حيث عدم الجدوى في التخليص والإنجاء.

وفي الجمع بين المعنى وضده هنا دلالة على تمكن شعور اليأس والقنوط من نفوسهم فلا صبر ينفع ولا جزع يفيد، وهم بعبارتهم هذه يعلنون لأتباعهم العجز التام، ومن المعلوم أن اعتراف الرؤساء والسادة والمتبوعين بمثل هذا العجز والخزي والنكال يوجب لهم من الذلة والمهانة ما يجعله لوناً آخر من العذاب يضاف إلى عذابهم.

وثمة أمثلة أخرى لطباق الإيجاب في السورة لا يتسع المقام لشرحها، لكل غرضه البلاغي الذي يسهم بناء المعنى وثمة أمثلة أخرى لطباق الإيجاب في السورة لا يتسع المقام لشرحها، لكل غرضه البلاغي الدي يملأ جو العبارة ناهيك عن الدور الذي يؤديه في إثارة الذهن وتحييجه من أجل استيعاب الكلام بشكل أسرع وأعمق، إذ يلم شتات المتنافرات في موضع واحد، فيحث الذهن على تصور الشيء وإدراكه بذكر ضده، فيحصل للنفس نوع من الأنس والبهجة، "ويبدو أن المتباعدات في المعنى أقدر من غيرها على تنشيط الفعالية الإدراكية"(٢٢)

1. 2 . ٢ . طباق السلب

عرفه القزويني في الإيضاح بأنه: "الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، أو أمر ونهي"(٢٣) أي أن ترد في العبارة كلمتان إحداهما مثبتة والأخرى منفيه، ويدخل فيه مقابلة الأمر للنهي (٢٤). كما في التطابق الحاصل بين فعلي المصدر (علم) في قوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(٢٥) فإن قوله: (يعلمون) من حيث إن الأول مثبت والآخر منفى.

ولم تكن شواهد هذا النوع من الطباق في السورة الكريمة بوفرها من النوع الأول، فلم تقف الدراسة من أمثلته إلا على ثلاثة فقط هي:

في قوله تعالى حكاية عن قول إبليس لأتباعه: (فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) (٢٦) حيث اختلف فيه فعل اللوم إيجاباً وسلباً، أمراً ونهياً، فتحقق التقابل بين فعليه (فلا تلوموني) و (لوموا أنفسكم)، ويظهر الغرض البلاغي من الطباق هنا في تقوية المعنى وترسيخه، فالشيطان يؤكد من خلال اللفظين المتضادين نفي اللوم الموجه إليه من أشياعه، محاولاً إبعاد التهمة عنه نهائياً باستخدام ذات الفعل مرتين؛ الأولى بإيراده نهياً (فلا

⁽٢٢) عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية (حلب: منشورات جامعة حلب، ٢٠٠٠م)، ٢٦٥

⁽٢٣) محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (بيروت: دار الجيل)، ٢٩٠/٤

⁽٢٤) ينظر: ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ١١٤، وعبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء القرآن الكريم، ٢٨

⁽٢٥) سورة الزمر: الآية ٩

⁽٢٦) سورة إبراهيم: الآية ٢٢

İLAHİYAT 13/2024 تلوموني) وفي الثانية أمراً موجهاً للأتباع (ولوموا أنفسكم) والمعنى: "فلا تلوموني بوسوستي، فإن من صرح بالعداوة لا يلام بأمثال ذلك، ولوموا أنفسكم حيث أطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم "(٢٧)، وفي هذا الأسلوب تأكيد للمعنى وتعزيز لا يتحصل إذا اقتصرنا على ذكر أحد طرفي الطباق.

ونجد المثال الثاني للطباق السلبي في المقابلة الواقعة بين (ويأتيه الموت) وقوله: (وما هو بميت) في قوله تعالى يصف حال الكافر وهو يقاسي العذاب يوم القيامة: (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ عَلِيظٌ) (٢٨) فالعبارتان المتضادتان تحملان معنى: (يموت) و (لا يموت) في تصوير مشهد لا تجد عبارة أكثر دلالة وأوضح بياناً وأدق تعبيراً من المعنى الذي يؤديه اجتماع هذين المعنيين المتطابقين، فالكافر يقترب من الموت حتى كأن الموت يأتيه بمخالب أسبابه بما يلاقيه من التعذيب فلا يبقى عضو من أعضائه إلا وُكِلَ به نوع من العذاب، "لو مات سبعين مرة لكان أهون عليه من نوع منها في فرد لحظة "(٢٩).. لكن إرادة الله تعالى تمنع عنه الموت فلا يموت، ليستمر في تذوق العذاب المحيط به من كل جانب كما ورد صريحاً في موضع آخر في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصُلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرُهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ عِي، (٣٠) فهل كان في وسع العبارة أن تتفتق عن القدر من قوة المعاني وزخم الصور والإيجاءات البيانية والمعاني الثانية لولا طباق السلب؟

1. 3 . المقابلة

وقد جعلها بعض أهل العلم نوعاً من البديع مستقلاً عن الطباق قائماً بنفسه، بينما عدها آخرون قسماً مندرجاً تحت الطباق، إذ لا فرق بينها وبين الطباق إلا من حيث عدد المعاني المتضادة (٣١)، ففي حين نرى في الطباق معنيين اثنين متقابلين نحو قوله تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ عَ) (٣٢) نجد هذه المعاني المتقابلة تتكاثر في المقابلة لتصل إلى خمسة أو ستة أزواج أحياناً.

قال ابن رشيق: "فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة"(٣٣) وكلما كثر عدد الألفاظ المتقابلة كانت أبلغ(٣٠).

⁽۲۷) عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ)، ١٩٧/٣، محمد بن حسن بن علي صديق خان، فترح البيان في مقاصد القرآن (صيدا: المكتبة العصريَّة للطبّاعة والنّشْر، ١٩٩٢م)، ١٠٥/٧، الألوسي، روح المعاني: ١٩٧/٧

⁽۲۸) سورة إبراهيم: الآية ۱۷

⁽۲۹) محمد بن فرح القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ)، ٣٥٢/٩

⁽٣٠) سورة النساء: الآية ٥٦

⁽٣١) ينظر: ابن أبي الإصبع، *تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر*، ١٧٩، والسكاكي، *مفتاح العلوم،* ٤٢٤، والسبكي، عروس الأفراح، ٢٣١/٢

⁽٣٢) سورة الكهف: الآية ١٨

⁽٣٣) عبد الحميد أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه* (بيروت: دار الجيل، ١٩٨١م)، ١٥/٢

⁽٣٤) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب (بيروت: دار البحار، ٢٠٠٤م)، ١٣١/١، وابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، ٥٨



وقد ورد تعريفها عند الخطيب القزويني: " بأن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب "(٣٠)

ولا يعدم المتأمل أمثلة بديعة للمقابلة في سورة إبراهيم منها ما وقفت عليه الدراسة ونعرضها بشيء من التفصيل فيما يأتي:

قوله تعالى: (إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمُ لَأَزِيدَنَّكُمْ لِوَن شَكَرْتُمُ لَأَزِيدَنَكُمْ لِوَن كَفَرْتُمُ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) وهو حكاية عن قول سيدنا موسى لبني إسرائيل، عطفاً على قوله في الآية السابقة عليها: (نعمة الله) أي اذكروا نعمة الله عليكم بالإنجاء مما عدد من أنواع الحن والمصائب، واذكروا حين تأذن ربكم. وقد قابل بين (شكرتم) و(كفرتم) من جهة، وبين قوله: (لأزيدنكم) و (إن عذابي لشديد)، وهي جلية بين الشكر والكفر إذا عرفنا أن المراد بالكفر هنا إنكار النعمة وجحودها "لأن الكفر المذكور في مقابلة الشكر ليس إلا الكفران، والسبب فيه أن كفران النعمة لا يحصل إلا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمة من الله، والجاهل بجا جاهل بالله "(٧٧)، وأما المقابلة الثانية فهي خفية في اللفظ متوارية خلف المعنى؛ لأن ضد الزيادة في الواقع هو النقصان، ومعنى (لأزيدنكم) أزيدكم نعمة إلى نعمة تفضلاً مني لقاء شكركم، أو لأزيدنكم من طاعتي أو من ثوابي، ولكن جاء المعنى المقابل له في قالب الوعيد والتهديد الذي تضمن معنى الإنقاص، وهل من مسه عذاب الله إلا في خسران ونقصان بعيد؟

ويبدو لي الداعي البلاغي في التحول من المقابل اللفظي إلى معناه في أمرين: الأول أن الخطاب من أكرم الأكرمين، وعادة الكرام التصريح بالوعد والترفع عن التهديد المباشر بالتعريض عنه، والثاني: أن إفادة الوعيد بضرب من التعريض أوقع في النفس. أضف إلى ذلك أن ذكر لفظ (العذاب) أقوى في الدلالة على التهديد من لفظ (الإنقاص) العام الذي لا يناسب سياق الآية، وأضعف من أن يكون جزاء لجرم يعبر عنه بلفظ (كفرتم).

ومن أمثلة المقابلة في السورة كذلك ما ورد في المثل الذي ضربه الله تعالى للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة حين قال أولاً: (أَلَمْ تَرَكَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)(٢٨) فذكر الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة وثبات الأصل وتجذره في الأرض، وهي معان متوافقة متناسبة تمثل بمجموعها الخير والعطاء والبركة ورسوخ الحق، ثم جاء البيان الإلهي بما يقابل هذا المعاني على الترتيب فقال: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيئَةٍ كَشَجَرَةٍ حَبِيئَةٍ الْجَتُثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)(٢٩) فذكر الكلمة الخبيئة والشجرة الخبيئة وسطحية جذورها وسهولة خبيئةٍ المجتبة من فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)

⁽٣٥) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ضمن شروح التلخيص): ٢٩٧/٤

⁽٣٦) سورة إبراهيم: الآية ٧

⁽۳۷)، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ۲۲،۱۹هـ)، ۹۱/۲۹

⁽۳۸⁾ سورة إبراهيم: الآية ۲٤

⁽٣٩) سورة إبراهيم: الآية ٢٦



اقتلاعها، وهي معان كذلك متوافقة يجمعها الدلالة على الشر والضلال والفساد الممحوق المبتور الذي لا يسنده دليل. فتحققت المقابلة بين ثلاث معان ومقابلاتها.

والنظم الحكيم بهذا الأسلوب البديع وما حمله من محسن معنوي يبرز للمتلقي الفرق بين الكلمة الطيبة التي قصد بما كلمة الحق أو الشهادة وبين الكلمة الخبيثة المراد بما الكفر والضلال من خلال رسم صورتين متقابلتين ومتضادتين في الذهن تجلو كل واحدة منها الأخرى وتوضحها وتظهر معالمها، إذ بضدها تتميز الأشياء، والمعاني يستدعي بعضها بعضاً، بل ربما كان الضد أقرب خطوراً بالبال عند ذكر ضده من ذكر مثيله، وقد قيل: الضدُّ يُظهرُ حسنه الضدُّ، وقد وقر ورود المعاني الثلاثة الأولى تباعاً جهداً كبيراً على الذهن، وجعله يتأهب لتلقي مقابلاتما ويتهيأ لإدراكها وتصورها ملتذاً ومبتهجاً بالنتائج السريعة التي يستخرجها من الشريط المعروض أمامه. فتشبيه الكلمة الطيبة بالشجرة، والدخول في تفاصيل صفاتما على النحو الذي رأينا يحتم على الذهن انتظار مقابلها (الكلمة الخبيثة)، والانشغال بالبحث عن صفاتما، وتوقع مثالها، وكل ذلك بالاستناد على ما تم تقديمه من معان في ركن المقابلة الأول. فليست المقابلة بالضرورة ترفأ لفظياً وزينة فحسب؛ بل عنصر فعال في أداء المعنى وتحقيق الغرض المقصود من الكلام.

1. 4. مراعاة النظير

يعرف هذا البديع بأنه: الجمع في العبارة الواحدة بين المعاني التي بينها ائتلاف وتوافق وتناسب، لا على سبيل التضاد والتناقض (٤٠٠)، ليخرج بهذا القيد الطباق، ويكون هذا التناسب بين معنيين فأكثر، فإن ناسب أول الكلام آخره سمي "تشابه الأطراف"(٤١). كالتناسب الواقع بين الظل والشجر، والقوس والوتر، والليل والسمر، والوعل والجبل، والظمأ والسراب، والعلم والكتاب وغير ذلك ..

ومن أمثلته في السورة قوله تعالى: (الله الله الله الله والمستموات والأرض وأنزل مِن السّماء ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِن التَّمَراتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَائُلُ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَغْارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ) (٢٠) حيث جمع البيان الإلهي بين (السماء والماء والثمرات والرزق) وهي معاني متآلفة متوافقة تنتمي إلى بيئة واحدة، فالماء ينزل من السماء ويكون سبباً لخروج الثمار التي جعلها الباري رزقاً للعباد، وكذلك الجمع بين (الفلك و البحر والأنهار) فإن علته ظاهرة، ومنه مجاورة الشمس للقمر، فإن توخي المناسبة في الجمع بين المعاني أمر محبب للنفس؛ لأنه يبقي الذهن في منطقة واحدة من مناطق المفردات، ويكفيه مشقة التنقل بين الألفاظ المتباعدة المتنافرة.

13/202

وعرفه الخطيب القزويني بأنه "جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد" ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ٢٩٣/١

⁽٤١) عبد الرحمن بن حبنكة، البلاغة العربية، ٣٨٢/٢

⁽٤٦) سورة إبراهيم: الآيتان ٣٢، ٣٣



ومن مراعاة النظير في السورة ما جاء في قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنِيَّ أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ مَّوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (٢٦) إذ للمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ مَوْي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (٢٦) إذ للمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ مَوْي إلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّقَمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) إن الله خلاطة البيت مكان للسكنى، ورغم أنهم لن يسكنوا في البيت فإن الخليل يومئ بذلك إلى أنه قد أدخلهم في أمان هذا البيت كما لو كانوا من ساكنيه، وجعلهم في ذمة صاحبه وجواره ملتجئاً إليه في حفظهم ورعايتهم.

وكذلك نلمس مواخاة بين لفظي (ذريتي) و(أفئدة) فإن الثاني يتعلق بالأول فطرياً، لذا كان في اختيار الخليل للفظ (أفئدة) تلميحاً إلى مدى الحب الذي يحمله في قلبه لمن تركهم في الوادي القفر، وخوفه وقلقه عليهم، وتعبيراً عن احتياجهم إلى أفئدة تتقد عليهم حناناً وعطفاً فتنوب عنه في غيابه.

وأما "تشابه الأطراف" الذي جعله البلاغيون قسماً من هذا البديع فنقف من أمثلته في السورة على الشواهد الآتية:

في قوله تعالى: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) حيث عبر البيان الإلهي عن سرعة البت في الحكم، فإن إجراء الحساب الذي ذكر أخيراً ناسب قوله: (ليجزي) لما بين اللفظين من تقارب في المعنى وتكامل؛ لأن إجراء الحساب يسبق الحكم بالجزاء، ثواباً كان الجزاء أو عقاباً، وقد جاء لفظ الجزاء متقدماً على الحساب ليؤكد على سرعة سير المحاكمة والحساب فالصحائف معدّة والأعمال معروضة ولا يسع أحداً إنكار أو اعتراض لأن الجوارح شاهدة.

1. 5 . حسن التقسيم

وهو أن يذكر البليغ متعدداً، ثم يضيف إلى كل من آحاده ما يخصه على التعيين، وبهذا القيد يفترق عن اللف والنشر إذ لا تعيين فيه، بل هو موكول للأفهام (٥٠٠). وقيل: هو استيفاء أقسام الشيء (٢٠٠)، نحو قوله تعالى: (هُوَ النَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ حَوْفًا وَطَمَعًا) (٤٠٠) فالناس عند رؤية البرق فريقان: خائف وطامع لا ثالث لهما (٤٨).

⁽٤٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٧

⁽٤٤) سورة إبراهيم: الآية ١٥

⁽٤٥) ينظر: النويري، نماية الأرب في فنون الأدب، ١٥٣/٧.

⁽٤٦) ينظر: ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢٠/٦، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩هـ)، ٢٤١

⁽٤٧) سورة الرعد: الآية ١٢

⁽٤٨) ينظر: ابن منقذ الشيرازي، البديع في نقد الشعر (الجمهورية العربية المتحدة: الإدارة العامة للثقافة)، ٦٦



ونجد حسن التقسيم بمفهومه الأول في قوله تعالى: (الله الَّذِي حَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ التَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَفْلاَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَفْلاَ النجين النظم بين متعدد هما السماوات والأرض، ثم فصل وقسَّم فأضاف ما لكل إليه على التعيين، فذكر أولا ما يتعلق بالسماوات من إنزال الغيث فقال: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِه..)، ثم ثنى بذكر ما يعود إلى الأرض ويتعلق بما فقال: (وَسَخَّرَ لِأَمْرِهِ..).

وأما صورة التقسيم بمفهومه الثاني فنجدها في قوله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)(٥٠) فموقف العباد من نعمة الله تعالى لا يخرج عن أحد أمرين لا ثالث لهما: إما شكر المنعم الذي يقابله الزيادة، أو كفر النعمة وإنكارها فيقابله العذاب.

1. 6. الإرصاد (التسهيم)

ويطلق في الأصل اللغوي على الإعداد والتهيئة، فيقال: أرصدت كذا لكذا؛ أي أعددته له وهيئته $^{(10)}$. وأما اصطلاحاً فهو نوع من المحسنات البديعية يراد به جعل ما قبل الفاصلة من الفقرة (أو القافية من البيت) دالاً عليها اعتماداً على حرف الروي $^{(70)}$ ، ويسميه البعض (التوشيح) $^{(70)}$ والبعض الآخر (التسهيم) من وضع صورة السهم، إشارة به إلى المكان المقصود، وكأن البليغ يضع في كلامه سهماً يدلل به على ما سيرد في آخره $^{(20)}$.

وإذا تتبعنا هذا البديع في السورة نقف على شواهد كثيرة له نذكر منها على سبيل المثال:

قوله تعالى: (اخْمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)(٥٥) فإن البيان الإلهي قد أرصد في ثنايا الآية الكريمة ما يشي للمخاطب باللفظ الذي تنتهي به الآية، حتى لو أن القارئ توقف من الآية عند قوله: (إِنَّ رَبِي لَسَمِيعُ) لجاء السامع بتتمتها (الدعاء) مستعيناً بمعنى الآية أولاً فسيدنا إبراهيم عليه السلام يحمد ربه على الذرية بعد التقدم في السن، ثم يثنى عليه بأنسب لفظ لفاصلة الآية وهو (سميع). وثانياً بروي الفاصلة

⁽٤٩) سورة إبراهيم: الآية ٣٢

⁽٥٠) سورة إبراهيم: الآية ٧

⁽٥١) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (رصد)

^{(&}lt;sup>٥٢)</sup> ينظر: محمد بن سنان الحفاجي الحلبي، *سر الفصاحة* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م)، ١٦٠، وابن منقذ، *البديع في نقد الشعر*، ١٢٧، وابن أبي الإصبع العدواني، *تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر*، ٢٦٣، والنوير*ي، نماية الأرب في فنون الأدب،* ١٤٢/٧

^(°°) ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٣٤/٢

^(*0) ينظر: حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ٣٨٥/٢

⁽٥٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٩

السابقة على الآية في قوله: (..وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)^(٥٦) وكذا اللاحقة عليها في قوله: (رَبِّ اجْعَلْني مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ)^(٥٧)

ومن أمثلة هذه البديع أيضاً ما ورد في قوله تعالى: (هَذَا بَلَاعٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَثَمَّا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَكُر لا أُولُوا الْأَلْبَابِ) بما سبقها من ألفاظ، فالبلاغ والإنذار والتذكر لا أُولُوا الْأَلْبَابِ)، ونلحظ في مجيئها تمهيداً وتميئة لذهن يخص إلا ذوي العقول المفكرة الواعية، المعبر عنهم بالفاصلة (أولوا الألباب)، ونلحظ في مجيئها تمهيداً وتميئة لذهن السامع تشحذه لمعرفة ما يليها، فإذا قرع سمعه قوله تعالى: (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَثَمَّا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) ثم وقف عند (وَلِيَدَّكُو أُولُواً) كان في وسعه إتمام الآية بقوله: (الألباب) لدلالة ما سبق وبقرينة الروي قريب العهد بذهنه في قوله: (إنَّ اللَّهُ سَرِيعُ الحُسِسَابِ)(٥٩).

ومما جعل أول الكلام موطئاً لآخره ودالاً عليه في السورة الكريمة كذلك ما ورد في قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ ثَمَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرُكُمْ إِلَى النَّارِ)(٢٠) بعد ذكر جهنم مصيراً وقراراً للكافرين في الآية السابقة عليها في قوله: (جَهَنَّمَ يَصْلَوْهَا وَبِنْسَ الْقَرَارُ)(٢١) فإن أول الكلام مع قافيته ورويه ليجعل بعضه دالاً على بعض، ويقدح في ذهن المتلقي تمامه قبل نطق المتكلم به، فلو وقف القارئ على قوله: (قُلْ ثَمَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرُكُمْ) لعلم السامع نوع العقاب المعد لهؤلاء الكافرين وأكمل الآية بقوله: (إلى النار) موافقة لروي الفاصلة (القرار، النار)، ولأن النظم الحكيم قد صرح باسم مكان العذاب الذي سيكون لهم قراراً، ومعلوم لدى المخاطب أن التعذيب فيه لا يكون إلا بالنار.

وتظهر أهمية هذا البديع وحسنه في كونه يمنح المخاطب فرصة لتوقع الآتي بما يمليه عليه من مقدمات ومعطيات في صدر الكلام، وبما يثبته في أول الكلام من مؤشرات دلالية تومئ له بالمقصود، الأمر الذي يزيد الكلام ترابطاً والمعنى تماسكاً وقوة كالمعدن يصب في سبيكة واحدة، بالإضافة إلى كونه يحفز ذهن المخاطب على التفكير والتوقع مستعيناً بالتمهيد والقافية، فإذا ما صح توقعه وتحقق حدسه "أدركته لا محالة حال من الرضا والبهجة، هي حال من توقع فأصاب، وتفرس فصح تفرسه".(١٢)

⁽٥٦) سورة إبراهيم: الآية ٣٨

⁽٥٧) سورة إبراهيم: الآية ٠ ٤

⁽٥٨) سورة إبراهيم: الآية ٢٥

⁽٩٩) سورة إبراهيم: الآية ١٥

⁽٦٠) سورة إبراهيم: الآية ٣٠

⁽٦١) سورة إبراهيم: الآية ٢٩

⁽٦٢) ينظر: عيسى العاكوب، المفصل في علوم البلاغة، ٦٦٥



1. 7 . الاستقصاء

وهو أن يتناول المتكلم معنى بالبيان، فيستوعب كل جوانبه بالشرح والإيضاح، آتيا بجميع عوارضه، ولوازمه، بعد أن يستوفي بالبيان كل أوصافه الذاتية، بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده ما يزيد عليه (٦٣). ومن بديع صوره ما ورد في السورة الكريمة من شرح وبيان واف استوعب تفاصيل حال الكافر ودقائق عذابه يوم القيامة في قوله تعالى: (واسْتَفْتَحُوا وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَاسْتَفْتَحُوا وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَاسْتَفْتَحُوا وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ عَذَابٌ عَلِيظٌ) (١٤٠) فلو أن البيان الإلهي اقتصر على ذكر جهنم لكان كافياً لما توحي به هذه الكلمة من صنوف العذاب وألوانه، ولكنه تجاوز ذلك إلى التفصيل على سبيل الاستقصاء فذكر الماء الصديد، ثم وضح الطريقة التي يسقى بما مستخدماً كلمة: (يتجرعه) بصيغتها التي احتملت معاني جعلت العلماء في تفسيرها مذاهب؛ فمن قائل أنها على معنى مطاوع (جرَّعته) بالتشديد نحو علمته فتعلم، إلى قائل أنها دالة على المهلة نحو تفهمته، أي يتناوله شيئا فشيئا بالجرع كما يتفهم شيئا فشيئا بالتفهيم.

ثم زاد هيئة الشرب قتامة بإدخال فعل المقاربة (وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ) مبالغة في نفي استساغة ذلك الصديد، فهو لا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة. ثم جعل أسباب الموت كالموت في الإحاطة به من كل جهة. وختم المشهد بوصف العذاب بالغلظة كناية عن قوته واتصاله "لأن الغلظة تستوجب القوة وتستدعي أن يكون متصلا تتصل به الأزمنة كلها فلا انفصال بينها" (١٥٠). وهذا كله كما ترى يصب في خدمة المعنى بياناً وتجلية، وتفصيلاً لا يترك للإبحام أو الغموض طريقاً إلى الذهن.

1. 8 . الإدماج

وزنه إفعال مصدر الفعل أدمج، من قولهم: أدمج حديثه إذا أدخل بعضه في بعض، وأصل الدمج الدخول، "(دَمَجَ) الشَّيْءُ دَخَلَ فِي غَيْرِهِ وَاسْتَحْكَمَ فِيهِ"(٢٦). وهو في مصطلح أهل البيان "أن يضمن كلاماً سيق لمعنى معنى آخر "(٢٧) ومرادهم أن يدمج المتكلم غرضاً له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي أراد. (٢٨)

⁽٦٣) ينظر: ابن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ٠ £ ٥

⁽٦٤) سورة إبراهيم: الآيات ١٥، ١٦، ١٧

⁽٦٥) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، *إعراب القرآن وبيانه* (حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية، ١٤١٥هـ)، ١٧١/٥

⁽٦٦) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، والرازي، مختار الصحاح، والفيروز آبادي، القاموس المحيط: مادة (دمج)

⁽٦٧) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ضمن شروح التلخيص)، ٣٩٨/٤

⁽٦٨) ينظر: النويري، نماية الأرب في فنون الأدب، ١٦٤/٧، ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، ٥٠١، علان، البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، ٢٥٩



وقد ذكر ابن عاشور للإدماج مثالين في سورة إبراهيم (٦٩):

الأول: في قوله تعالى: (الر يَكِتَابُ أَنزُلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَجِّمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحُمِيدِ (١) اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) (٢٠) فالآية مسوقة لبيان وظيفة القرآن الكريم في انتشال الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وإرشادهم إلى سبيل الله المتفرد بملكه لما حوته السماوات والأرض خلقاً وملكاً وعبيداً، ولكن البيان الإلهي ضمن هذا الكلام معنيين آخرين على سبيل الإدماج الأول: أن غير صراط الله من طرق آلهة المشركين ليس بواصل إلى المقصود لما يعتري أصحابه من نقصان وقصور، والثاني: تعريض بالمشركين الذين عبدوا ما ليس له السماوات والأرض.

المثال الثاني: في قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٢٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)(٢١) فموضوع الآية مع ما سبق في قوله تعالى: (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرِكم إلى النّارِ)(٢١) هو تقديد للظالمين، ووعيد بعقابَمم، وبيان أن السبب في تأخير العذاب عنهم إنما هو الإمهال مع نفي الإهمال والعفلة عن الله تعالى، وكذا إنذار لهم بعدم الاغترار بطول السلامة والأمن، تنبيهاً لهم بأن ذلك متاع زائل.

ولكن المتأمل يلمح بين ثنايا الآية معنى آخر حرص البيان الإلهي على إدماجه وإخفائه ضمن المعاني المصرح بما حتى ينساب إلى ذهن المخاطب بلطف، ويتسلل إليه في غفلة عن رقابة السبب المانع من الصدح به. هذا المعنى هو تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ما يتطاول به هؤلاء المشركون من الدعة وما يتقلبون فيه من النعم، يدل عليها التفريع في قوله تعالى: (فَلا تَحْسَبَنَّ الله مُخْلِفَ وعْدِهِ رُسُلَهُ)(٧٣).

$^{(v_t)}$ الاستتباع (التعليق) . 9

وقد تنوع تعريفه واختلف بين أهل البيان فمنهم من قال: "هو المدح بشيء على وجه يستتبع مدحاً آخر "(٥٧) ومنهم من عرفه بأنه "الوصف بشيء يستتبع وصفاً آخر مدحاً أو ذماً "(٢٦) ولعل أوسع تعريف له ما ذكره ابن أبي الإصبع الذي سماه (التعليق) بقوله: " هو أن يأتي المتكلم بمعنى في غرض من أغراض الشعر، ثم يعلق به معنى آخر

^(١٩) ينظر: : محمد الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير* (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ١٨٢/١٣ – ٢٤٥

^{(&}lt;sup>٧٠)</sup> سورة إبراهيم: الآيتان ١، ٢

⁽٧١) سورة إبراهيم: الآيتان ٤٦، ٤٣

⁽٧٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٠

⁽٧٣) سورة إبراهيم: الآية ٧٤

⁽التعليق) ابن أبي الإصبع (التعليق)

⁽٥٠) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ضمن شروح التلخيص)، ٣٩٧/٤

⁽٧٦) السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ٢٧٣/٢



من ذلك الغرض يقتضي زيادة معنى من معاني ذلك الفن"(٧٧) وهذا التعريف الأخير هو ما نعتمده، ونقف من أمثلته في السورة الكريمة على ما يأتي:

في قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُحْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (٨٧) فالحليل عليه السلام بعد أن أثنى على الله تعالى بمعرفته ما يدور في السر والعلن استتبع هذا الوصف بمعنى آخر متولد عنه ومتعلق به، هو إحاطته تعالى بكل شيء علماً، في الأرض كان أو في السماء، وعدم خفاء شيء عليه مهما صغر أو تناهى في البعد. فجاء بمعنيين بينهما ارتباط وثيق إذ لولا المعنى الأول لما أمكن تصور المعنى الثاني، كونه مبني ومترتب عليه منطقياً على سبيل التوطئة والتمهيد. فعلم الله تعالى بكوامن النفس وخباياها دليل على اتصافه بالكمال الذي يستدعي العلم بكل شيء.

ومنه كذلك ما جاء في قوله تعالى في ذم الكلمة الخبيثة وتشبيهها بالشجرة الخبيثة: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ وَسَنَاتُ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) (٢٩) فإن الباري عز وجل استتبع اجتثاث الشجرة الخبيثة بصفة أخرى متولدة عنها ومعللة لها هي قوله: (ما لها من قرار) أي استقرار أو ثبات لعدم انبثاقها من أصل ثابت ضارب وجذور متعمقة في الأرض، وجلي وجه الارتباط بين المعنيين إذ لولا المعنى الثاني لما كان الأول، أي لولا سطحية جذور الشجرة لما سهل استئصالها واجتثاثها. فالذم بالاجتثاث استُتْبعَ بالذم بعدم القرار.

وكذا يمكن الاستشهاد للاستتباع من السورة بوعيده تعالى للكافرين بالإهلاك والمستتبع بالوعد للمؤمنين باستخلافهم في ديارهم في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُحْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى باستخلافهم في ديارهم في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُحْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ)(١٠) فإسكان المؤمنين في أرض أعدائهم لا يكون إلا بعد إخلائها من سكانها الظالمين المجترئين على الرسل وأتباعهم، لأنه لا يعقل اجتماعهم في الديار نفسها وتعايشهم بعد التهديد الذي صدر من هؤلاء المشركين بقولهم: (لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) ولذا كان بين المعنيين تعاقباً وتلازماً، فالإسكان في الأرض جاء متولداً عن نصر الله تعالى المؤمنين وتمكنهم من عدوهم بإهلاكه على يدهم.

ومن الاستتباع أيضاً ما جاء في قوله تعالى: (وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا هِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ)(٨١) فقد ذكر علم المخاطبين وتبينهم ما فعل الله تعالى بالظالمين من إهلاك وعقاب، الحاصل

⁽٧٧) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ٤٤٣

⁽٧٨) سورة إبراهيم: الآية ٣٨

⁽٧٩) سورة إبراهيم: الآية ٢٦

⁽٨٠) سورة إبراهيم: الآيتان ١٤، ١٤،

⁽٨١) سورة إبراهيم: الآية ٥٤



من مشاهدة آثار العذاب من الحسف والفناء بالاستئصال، ثم استتبع ذلك بذكر حجة ثانية عليهم تتمثل بضرب الأمثال المراد به المواعظ الجارية على ألسنة الرسل والتي تصف أحوال الأقوام البائدة ونوع العقاب الذي حل بحا. فالبيان الإلهي أقام على المخاطبين حجتين ذكرهما على سبيل التتابع إذ جاء أولا بدلائل الآثار والأطلال المعلومة بالمشاهدة ثم استتبعها بدلائل الموعظة الصادرة عن الرسل والأنبياء (٨٢).

1. 10 . الاستدراج

وهو نوع لطيف من البديع جاء عند أهل البلاغة بأسماء متعددة كالتلطف وحسن المطلب وبراعة الطلب (^{۸۳)}، ويعنون به استمالة الخصم إلى الإذعان والاستسلام باستخدام لين الكلام وطيب المفردات مع أسلوب لطيف يدخل القلب دون استئذان ويؤثر فيه بالإقناع.

مثاله في السورة ما ورد على لسان الرسل عليهم السلام في قوله تعالى: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَجِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى)(14) إذ اعتمدوا أسلوب الاستدراج بترغيب الخصم في المغفرة حال انصياعه للحق وإيمانه بالله تعالى، فإن الإسلام يجب ما قبله، والله تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عما سلف، وجلي أثر التلويح بالعفو والمغفرة في استمالة قلب الخصم وتليينه، مع ملاحظة ظلال اللطف والرحمة التي ألقاها على المشهد التعبيرُ بالفعل (يدعو) مع إسناده إلى الله تعالى، والدعوة أصلاً دعوة إلى الإيمان، والإيمان هو الذي يؤدي إلى المغفرة. "ولكن السياق يجعل الدعوة مباشرة للمغفرة"(١٠٥)، زيادة في ترغيب المخاطب وحثه على الاستجابة، ولتتجلى نعمة الله ومنته. والبديع هنا كما تلاحظ يعد الأسلوب الأهم والأساس في صياغة المعنى، بل لولاه لما خرج المعنى بهذا اللطف واللين الذين يشكلان محور القضية التي سيق لأجلها الكلام، إذا فالبديع ليس تزييناً للمعنى وإنما عنصر جوهري في بنائه وبيانه.

A. النتائج

خلص البحث إلى النتائج الآتية :

- رغم اتسام موضوعات السورة بالجد واتصاف أساليبها بالرصانة والقوة فإن ذلك لم يغيب شيئاً من ملامح المظهر الجمالي والمحسنات الشكلية التي يصطبغ بما البيان الإلهي عادة، وقد لاحظ الباحث الدور الكبير المنات الذي نفض به ما يسمى عند أهل الفن بالبديع في تقريب المعاني بعد أن جعل البيان الإلهي المحسنات

^{(&}lt;sup>۸۲)</sup> ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ۲٤٩/۱۳

⁽AT) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ٢/٥٠، وعلان، البديع في القرآن، أنواعه ووظائفه، ٢٧٤

⁽٨٤) سورة إبراهيم: الآية ١٠

⁽٨٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤٠٩٠/٤

المعنوية وسائل إيضاح وبيان رديفة لعلمي المعايي والبديع، إلى جانب وظيفتها في إبراز جماليات الأداء والصياغة بما تثيره في نفس المخاطب من متعة وانتعاش.

- ابتعد البيان الإلهي في عرضه للمحسنات البديعية عن التكلف والتصنع وتجنب إغراق النص وإثقاله بما نظير ما يقع فيه كثير من الشعراء والأدباء، فاستعملها بقدر الحاجة وبما يخدم بيان النص وإظهار حسنه، مع تنويع بينها، وقد ظهر ذلك جليا في الأمثلة التي ساقها الباحث.
- تنوعت الأغراض البلاغية للمحسنات البديعية التي تتعلق بتجلية المعنى فمحسن الطباق جمع بين المتضادات محققاً بذلك الإحاطة والشمول من جهة أثناء أداء المعنى، والإيجاز من جهة أخرى حين عبر عن المعنى الكثير باللفظ القليل معتمداً في ذلك على ما يفهم من اللفظين المتضادين. إضافة إلى دوره في تقوية المعنى وترسيخه من خلال تكراره كما هو الشأن في طباق السلب الذي جاء بالمعنى مرتين مثبتاً ومنفياً، ورسم في الذهن صورتين متقابلتين تجلو كل واحدة منها الأخرى وتوضحها وتظهر معالمها، إذ بضدها تتميز الأشياء.
- برز دور المحسنات البديعية واضحاً في الجمع بين المعاني متوخياً المناسبة التي تجمع بينها، وهو ما يبقي ذهن المخاطب في حقل دلالى واحد ويكفيه مشقة التنقل بين الألفاظ المنتمية إلى حقول دلالية مختلفة.
- كان للمحسنات البديعية أثر في تحفز ذهن القارئ على التفكير والتوقع والاستعانة بسابق الكلام على فهم لاحقه مما جعل الجملة القرآنية أكثر ترابطاً والمعنى أكثر تماسكاً وقوة كالسبيكة من المعدن لا تنفك أجزاؤها.
- وظف البيان الإلهي المحسنات البديعية بغية استيعاب العبارات جميع جوانب المعنى بالشرح والبيان والتفصيل، فمرة يستوفي بالبيان كل أوصافه الذاتية، وتارة يخفي غرضاً في طيات معنى سيق لغرض آخر وذلك ليلطف مأخذه، ويزيد تأثيره في نفس المخاطب.
- برع البيان الإلهي في استخدام المحسن البديعي كأسلوب في استمالة الخصم وإقناعه بالإذعان والانقياد، فصاغ المعنى من لين الكلام وطيب المفردات والتراكيب ورشيق العبارات، كما جرى في التلويح بالعفو والمغفرة في استمالة قلب الكافر وتليينه أثناء الدعوة إلى الإيمان.



المصادر والمراجع

ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. ٣٠ مجلدا. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. ١٥ جزءا. بيروت: دار صادر، ط.٣, ١٤١٤.

أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى. *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. ٩ مجلدات. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٣١.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ١٦ مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥.

جبر، مصطفى السيد. دراسات في علم البديع. جزء واحد. دريم للطباعة: ٢٠٠٧.

حبنكة، عبد الرحمن. البلاغة العربية. جزآن. دمشق: دار القلم، ١٩٩٦.

الخازن، علي بن محمد بن عمر. لباب التأويل في معاني التنزيل. ٤ مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥. الخفاجي، حمد بن سنان الحلبي. سر الفصاحة. مجلد واحد. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. إعراب القرآن وبيانه. ١٠ مجلدات. حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية، ٥٠ ١٤١٠.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين. مفاتيح الغيب. ٣٦ مجلدا. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠.

الزمخشري، محمود بن عمرو. أساس البلاغة. مجلدان. بيروت: دار الكتب العلمية، ط. ١ , ١ ٩ ١ .

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. بحر العلوم. ٣ مجلدات. لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٦٤.

صديق خان، محمد بن حسن بن علي. فتم البيان في مقاصد القرآن. ١٦ مجدا. صيدا: المكتبة العصريَّة للطبّاعة والنّشْر، ١٩٩٢.

العاكوب، عيسى علي. المفصل في علوم البلاغة العربية. مجلد واحد. حلب: منشورات جامعة حلب، ٢٠٠٠. العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل. الصناعتين الكتابة والشعر. مجلد واحد. بيروت: المكتبة العنصرية، 1٤١٩.

القرطبي، محمد بن فرح. الجامع لأحكام القرآن. ٢٠ مجلدا. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤.

القيرواني، عبد الحميد أبو علي الحسن بن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. مجلدان. بيروت: دار الجيل، ١٩٨١.

لاشين، عبد الفتاح. البديع في ضوء أساليب القرآن. مجلد واحد. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩.

المهندس، مجدي وهبة. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. جزء واحد. بيروت: المكتبة العصرية ٢٢٢.



KAYNAKÇA

Abbâs, Fadl Hasan. el-Belâga Funûnuhâ ve Efnânuhâ. Ürdün: Dâru'l-Furkân, y.y. 1997.

Abdulazim. Ḥaṣâiṣu't-Ta'bir el-Kurânî ve Simetuhu el-Belâgiyye. Kahire: Mektebetu Vehbe, y.y. 1992.

Aleviyyi, Yahya b. Hamza. *Tirazu'l-Esrarul Belağa ve Ulum Hakaikul İcaz*. Beyrut: el-Mektebetü'l-Asriyye, 1423.

Âlûsî, Mahmud b. Abdullah. Rūhu'l Me'ānī fī Tefsīri'l Kur'āni'l 'Azīm ve's sub'ul methānī. Beyrut: Dâru'l-Kutubi'l-İlmiyye, 1415.

Avnî, Hamid. el-Minhâcu'l-vâdıh li'l-belâğa. Kahire: Mektebetü'l-Ezheriye li't-Turâs, 1431.

Beğavi, Hüseyin b. Mesud. Mealimut-Tenzil fî Tefsiril-Kurân. Beyrut: Dâru'l-İhyâi't-Turâsi'l Arabi, 1420.

Bikâi', Burhaneddin İbrahim b. Ömer. *Nazmü'd-dürer fî tenâsübi'l-âyât ve*'s-süver. Kahire: Dâru Kitabi'l-İslâmi, y.y. 1431

Cürcânî, Abdulkâhir. *Delâilu'l-'icâz*. Kahire: Dâru'l-Medenî, 1992.

Ebu Hayyân, Muhammed b. Yusuf b. Ali. Bahru'l-Muhît. Beyrut: Dârul-Fikr, y.y. 1420.

Ebu Musa, Muhammed. el-Hasâisut-Terâkîb. Mısır: Mektebetu Vehbe, 1431.

Ebüssuûd, Muhammed b. Muhammed. İrşâdü'l-ʿakli's-selîm ilâ mezâya'l-Kitâbi'l-Kerîm. Beyrut: Dâru'l-İhyâi't-Turâsi'l Arabi, 1431.

Fahreddin er-Râzî, Muhammed b. Ömer b. Hüseyin b. Ali. *Mefâtîḥu'l-ġayb*. Beyrut: Daru İhyai't-Turasi'l-Arabi, y.y. 1420.

Habenneke, Abdurrahman. el-Belâgatü'l-'arabiyye. Dimeşk: Dâru'l-Kalem, 1996.

İbn Âşûr, Muhammed Tahir. et-Taḥrîr ve't-tenvîr. Tunus: Darut-Tunusiyye, 1984.

İbn Cinnî, Ebu'l-Feth Osmân. el-Ḥaṣâiṣ. Mısır: Heyetu'l-Mısrıyya, y.y. 1431.

İbnü'l-Esîr, Ebü'l-Feth Ziyâüddîn Nasrullāh b. Muhammed b. Muhammed eş-Şeybânî el-Cezerî. el-Meşelü's-sâ'ir fî edebi'l-kâtib ve'ş-şâ'ir. Kahire: Dâru Nahda Mısra, y.y. 1431.

Kazvînî, Muhammed b. Abdurrahman. el-Îzâh fî Ulûmi'l-Belâğa. Beyrut: Dâru'l-Cîl, 1431.

Nesefî, Abdullah b. Ahmed. *Medârikü't-tenzîl ve hakāiku't-te'vîl*. Beyrut: Darü'l-Kelimi't-Tayyib, 1998.

Şa'îdî, 'Abdulmute'âl. Büğyetül-İdâh Litelhîşı'l-Miftâh. Kahire: Mektebeu'l-Edeb, 2005.

Sekkâkî, Yusuf b. Muhammed b. Ali. Miftahul Ulum. Beyrut: Dâru'l-Kutubi'l-İlmiyye, 1987.

Semin Halebî, Ahmed b. Yusuf. *ed-Dürrü'l-maşûn fî 'ulûmi'l-kitâbi'l-meknûn*. Dimeşk: Dâru'l-Kalem, y.y. 1431.

Sîrâfî, Ebû Saîd es-Sîrâfî el-Hasan b. Abdullah b. el-Merzubân. *Şerḥu Kitâbi Sîbeveyh*. thk. Ahmed Hasan Medhelî-Ali Seyyid Ali. Beyrut: Dâru'l-Kutubi'l-İlmiyye, Baskı, 1 y.y. 2008.

Sübkî, Ahmed b. Ali. 'Arûsu'l-efrâh fî şerhi Telhîsi'l-miftâh. Beyrut: el-Mektebetü'l-'Asriyye, 2003.

Zemahşerî, Mahmûd b. Amr b. Ahmed. el-Keşşâf 'an Hakā'iki Ğavâmidi't-Tenzîl ve 'Uyûni'l-Ekāvîl fî Vucûhi't-Te'vîl. Beyrut: Dâru'l-Kutubi'l-Arabi, 1407.

13/2024